إلى اتجّاه معين، فلا هو بصريّ، ولا هو كوفيّ، ولا هو بغداديّ، وإنما همه فى هذه الدراسات أن يضع المسألة النحوية على بساط البحث ويوجه إليها كل ما يملك من رصيد ثقافيّ ليضعهما فى ميزانها الصحيح، فإذا استبان له وجه الحق فيها بعد هذا البحث الدقيق أخذ بها بغض النظر عن مصدرها ومنبعها، ومن هنا وافق ابن مالك البصريين فى كثير من المسائل التى سلم لهم بها. والنحو البصرى عرف طريقه للأندلس عن طريق محمد بن يحيى الرباحى الجيّانى (ت ٣٥٣هـ) فقد أدخل كتاب سيبويه إلى الأندلس، إذ إنه رحل إلى المشرق فلقى بمصر النحوى المشهور أبا جعفر النحاس وحمل عنه كتاب سيبويه رواية، وقد قال عنه أبو بكر الزبيدى: «ولم يكن عند مؤدبى العربية ولا عند غيرهم من عنى بالنحو كبير علم (بالعربية) حتى ورد محمد ابن يحيى عليهم، وذلك أنَ المؤدبين كانوا يعانون إقامة الصناعة فى تلقين تلاميذهم العوامل وماشاكلها، وتقريب المعانى لهم فى ذلك، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال لمسائلها، ثم كانوا لاينظرون فى إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنية، ولا يجيبون فى شئ منها حتى نهج لهم للسبيل النظر، وأعلمهم بما عليه أهل هذا الشأن فى الشرق، من استقصاء الفن بوجوهه واستيفائه على حدوده، وإنهم بذلك استحقوا اسم الرياسة». ويقول القفطى عن محمد بن يحيى إنه لما ورد قرطبة أخذ فى التدقيق والاستنباط والاعتراض والجواب وطرد الفروع إلى الأصول، فاستفاد منه المعلمون طريقه، واعتمدوا ما سنّه من ذلك.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أنه كان يعاصر بن يحيى فى قرطبة أبو على القالى البغدادى (ت ٣٥٦ هـ) الذى نزل الأندلس (سنة ٣٣٠ هـ) فى عهد عبد الرحمن الناصر، وقد كان له دور مهم فى الحياة اللغوية والأدبية، خاصة حين حمل معه كتاب سيبويه بعد أخذه عن عبد الله بن جعفر بن درستويه عن المبرد.

ويعدّ ابن سيده (ت ٤٤٨ هـ) واحداً من أعلام الحياة اللغوية فى الأندلس، ولم يكن فى زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما